# الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس (ألقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة).

تحت عين الصباح والأنوارِ ورقيق الأنداء والأسحارِ
في حمى سنتريس شبَّ غلام شاعريُّ الكلام والأنظارِ
أزرق العين هادئ هدأة البحـ ـر بعيد الرضى! بعيد القرارِ!
ساهم يلمح السحائب في الأفـ ـق بعين عميقة الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائم والزهـ ـر وفي صحبة الغدير الجاري
ونضيرِ الحقول والعشب المخضَّـ ـل يكسو شواطئ الأنهارِ
ومصيخًا إلى غناء السواقي شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
باكياتٍ على الصبا والأماني والهوى والنوى وبعدِ المزارِ
غير أن الذي شكا خطبه الأهـ ـلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ
إنَّ ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الـ ـقلب في رقة النسيم الساري
مغرمٌ بالعصا! فلو خلف سورٍ لتخطى شواهق الأسوارِ
ولأجل العصا سطا على الأفرع الخضـ ـراء زانت بواسق الأشجارِ
ولأجل العصا سطا على خشب البيـ ـت، طموحًا حتى لِباب الدارِ
ولوَ انَّ العصيِّ عزَّت عليه لتمنَّى حتى عصا التسيارِ

* * *

إن تلك العصا لرَمزٌ على القوَّ ... ة في قلبِ ماردٍ جبَّارِ
لا يرى القرية الصغيرة كفْءًا ... للكبار الآمال والأوطارِ
ساخرًا من هدوئها مستعدًّا ... لصراع الخطوب والأخطارِ
أين يمضي؟! للأزهر الشامخ الرأ ... س القوي الباقي على الأدهارِ
مطلع عبده وسعدًا ورهط الـ ... ـمجد والبأس والعلى والفخار

* * *

فرح الأهلُ بالغلامِ الذي صا ... ر حديثًا في ندوة السُّمارِ
عمَّموه وقفطنوه فأمسى ... أمل القوم، فارس المضمارِ
ومضى يطلب العلوم وحيدًا ... موحشا قلبهُ، غريبَ الدارِ
ناظرًا في هوامشٍ تأكل العقـ ... ـل وتبلي نواضر الأبصارِ
لا يبالي الطوى ولا يحفل الأقـ ... ـدار جاءت بكل أمرٍ ضاري
لا يبالي غداة يصغى إلى الشيـ ... ـخ وللشيخ هالة من وقار:
أحصيرٌ ممزقٌ أم حريرٌ ... مقعد للمجاهد الصبَّارِ
آهِ من هاته الشدائد فهْي النَّـ ... ـار تبلو القلوب في الأخيارِ
إنَّ قلب العظيم ياقوتةً تسـ ... ـمو سموًّا وتزدهي بالنارِ!
أي شيء في الدهر كالألم الجبَّـ ... ـار يجلو ضمائر الأحرار؟!

* * *

عجبي من «مجاور» ضاق بالأز ... هر واحيرة النفوس الكبارِ!
ثم أمسى مطربشًا واكتسى البذ ... لة ما بين ليلةٍ ونهارِ
ثم ضاقت بهمه مصر فاشتا ... ق لغير الأوطان في الأمصارِ
ضمَّ أشياءه إليه، وأضحى ... في سفينٍ تجوب عرض البحارِ
ثم أمسى مبرنطًا يقصد السيـ ... ـن ويغزو مدينة الأنوارِ

* * *

والـذي يـبـعـث الـسـرور ويـدعـو ... كـلَّ نـفـس لـلـزهـو والإكـبـارِ
رجـلٌ مـا ازدهـتـه فـتـنـة بـاريـ ... ـس ومـا فـي بـاريـس مـن أسـرارِ
ظـل فـي ذلـك الـحـمـى مـصـريًّـا ... عـربـيَّ الـحـيـاة والأفـكـارِ
كـلـمـا هـبَّـت الـغـوانـي عـلـيـه ... ضـاق ذرعـا بـالـغـادة الـمـعـطـارِ
يـزفـر الـزفـرة الـنـفـيـسـة تـرمـي ... مـن لـظـاهـا فـحْـم الـدجـى بـشـرارِ
يـذكـر الـنـيـل، والأحـبـة بـالـنـيـ ... ـل ويـشـدو بـرائـع الأشـعـارِ!
كـرِّمـوا نـابـغـيـكـمـو واعـرفـوهـم ... فـضـيـاع الـنـبـوغ فـي الإنـكـارِ
فـزكـيٌّ مـبـاركٌ شـعـلـة فـي ... مـصـر تـهـدي شـبـابـهـا كـالـمـنـارِ
قـسـمًـا لـو يُـتـاح لـي الـغـارُ كـلـلـ ... ـت بـكـفـي جـبـيـنـه بـالـغـارِ!